

بناء الجماعة الصالحة عند الشيعة من

خلال وصايا الإمام الصادق عليه السلام



الهدف:

بيان القرارات والإجراءات والسياسات التي قام بها الإمام الصادق عليه السلام لبناء المجتمع الصالح من خلال وصاياه وإرشاداته

محاوَر الموضوع

- توطئة
- بناء الكادر القدوة
- خاتمة صفة الإخوة في الله

تصدير:

«حَبِّبُونَا إِلَى النَّاسِ وَلَا تَبْغُضُونَا إِلَيْهِمْ...»

الكثرة ومما يشير إلى ذلك ما ذكره النجاشي في ترجمة الحسن بن علي بن زياد الوشاء، في رواية يقول فيها لأحمد بن محمد بن عيسى: «أدرت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد»^(١)

الجهة الثالثة: التنوع في العلوم:

وأما من هذه الجهة فنقرأ أن الأمام الصادق عليه السلام عمل على تربية الكادر وتتميته في فنون متعددة وحقول مختلفة ولذا نقرأ في مدرسته أنها قد خرّجت طلاباً يحملون اختصاصات متنوعة وذلك لأجل تأمين الحاجة لكل شرائح المجتمع وتنوعه وأهمها هي:

أ: **الفقه والأصول:** ومن ابرز المتخصصين زرارة، ومحمد بن مسلم، وبريد العجلي، وليث المرادي، والمئات من امثالهم ومن جملة من تتلمذ على يديه ثم ترك ملازمته فزهق لتقدمه على الإمام أو هلك لتخلفه عنه أمثال أبي حنيفة وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري.

ب: **علم الكلام:** أمثال هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ومؤمن الطاق، والطيّار، وقيس الماهر وغيرهم.

(٢) رجال النجاشي - ص ٣٩ و ٤٠

الأول: بناء الكادر القدوة

وفيه جهات:

الجهة الأولى: النوعية:

إن إيصال العلوم والإرشادات إلى كل فرد بصورة مباشرة غير ممكن، ووصول أي فرد إلى الإمام عليه السلام فيه عسر وحرج لكثرة الأمصار وبعُد الأسفار، ركّز الإمام الصادق عليه السلام على بناء أفراد لهم قابلية ولياقة أن يكونوا قدوة يعلمون أناساً ويقتدي بهم آخرون، وكلهم ينتسبون إلى الصرح العلمي الضخم الذي شيد أركانه الإمام عليه السلام، كما حصل لمجموعة من الطبقة الأولى ممن تخرجوا على يديه الكريمتين وقد جاء في الرواية الصحيحة عن جميل بن دراج عن الإمام الصادق عليه السلام «بشر المخبتين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، وأبا بصير ليث اليبختري المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة، أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه، ولولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوة واندرست»^(١)

الجهة الثانية: العدد

وأما من جهة العدد فالذين سمعوا من الإمام فهم في غاية

(١) معجم رجال الحديث - الخوئي ج ٢٢ ص ٢٢٢

توطئة:

لقد شهدت الفترة الزمنية التي عاصرها الإمام الصادق عليه السلام تحولات كبيرة على المستوى السياسي والفكري مع ما كان عليه المجتمع من انحراف سلوكي بسبب السياسات لمملوك وسلاطين بني أمية، الذين شكّلوا مظلة واسعة لنشر الفساد من الرشوة وشرب الخمر إلى الربا والزنا، مما أدى إلى تفكك كامل للروابط الاجتماعية وفقدان الثقة، وإضعاف أواصر العلاقات الأسرية، فكل هذه الأمراض تحتم على الإمام العمل على معالجتها إن لم يواجه معوقات من السلطة المهيمنة، ولذا وجد الإمام الصادق عليه السلام الظروف المناسبة للشروع في العلاجات مستفيداً من الظروف الأمنية القائمة بين السلطات الأموية والعباسية، فالأولى أسست تلفظ أنفاسها الأخيرة، والثانية مشغولة بتثبيت أركان سلطتها والجميع مشغول عن أهل البيت عليه السلام. وهنا لا بد من تسليط الضوء على الأعمال التي قام بها الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذا المضمار فنقول:

ج: الفلسفة وحكمة الوجود:

أبرزهم المفضل بن عمر الذي أملى عليه الإمام الصادق عليه السلام كتابه الشهير المعروف بتوحيد المفضل.

د: الكيمياء: وقد برع في ذلك

جابر بن حيان الكوفي مضافاً إلى علم الفلك والنبات والحيوان والفيزياء والعلاجات النباتية والطب، فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول في علم التشريح والطب حينما سئل عن جسم الإنسان فقال عليه السلام: «إن الله خلق الإنسان على اثني عشر وصلاً وعلى مائتين وثمانية وأربعين عظماً وعن ثلاثمائة وستين عرق فالعروق... الخ»^(١).

الثاني: فتح باب الاجتهاد:

ومن الإجراءات الاستراتيجية التي اتخذها الإمام الصادق عليه السلام هو فتح باب الاجتهاد لتشكيل نواة من أهل الاختصاص والفقاهة لإصدار الفتاوى إلى عموم الناس واليه يشير كلام الإمام عليه السلام «إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا» وفي هذا السياق نفقه كل القواعد الأصولية والفقهية التي أملاها وألقاها على بعض أصحابه منها ما جاء في معالجة الأخبار المتعارضة حيث قال «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من رسول الله وإلا فالذي جاءكم به أولى به»^(٢).

الثالث: التأليف والتصنيف:

خلافاً للعصر السابق على عصره حث الإمام الصادق عليه السلام أصحابه على التأليف والتصنيف وأن يقيّدوا العلم بالكتابة، ووجه العلة لإيصال علومهم وإرشادهم إلى كل الغائبين عنه بل إلى المعدمين أي الذين لم يوجدوا بعد، ويفضل هذا التوجيه المبارك ضمن وصول علومهم ألياً

(١) بحار الأنوار ج ١٤ - ص ٤٨٠ والمناقب

ج ٤ - ص ٢٥٦

(٢) أصول الكافي ج ١ - ص ٦٩

والى كل الذين سبقونا والذين يأتون من بعدنا، ولذا صنف في مجال القواعد العامة أربعمئة مصنف التي عرفت بالأصول الأربعمئة يضاف إليها ستة آلاف وستماية كتاب^(٣) وبعضها شكل المادة الأساسية التي اعتمد عليها المشايخ الثلاثة القدماء في تأليف كتبهم الأربعة - الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار.

الرابعة تربية عموم الشيعة:

القاعدة الشعبية هي المستهدفة على مستوى التربية والتعليم، والتركيز على بناء أفرادها فكرياً وروحياً وسلوكياً، ويريدهم أن يكونوا على صورته المباركة، وبعبارة أخرى أن ينتسب كل فرد إليه ويقال له هذا جعفري وكان يؤكد على مسلمات رئيسية يجب أن يتحلّى بها عموم الناس:

الأول - العلاقة مع الله

سبحانه وتعالى:

وعمدتها تقوى الله عز وجل والورع في دينه والاجتهاد له وإقامة الصلاة وطول السجود.

الثاني - حسن الروابط

الاجتماعية:

وقوامها أمران صدق الحديث وأداء الأمانة، مضافاً إلى حسن الجوار وصلة أقاربهم وحضور جنازتهم، وعيادة مرضاهم، وأن يحسن خلقه مع عموم الناس، وكشاهد على المسألة الأولى ما رواه زيد الشحام أنه قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام «اقرأ على من ترى أنه بطيعني منهم ويأخذ بقولي وأوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد في الله... وطول السجود... فبهذا جاء محمد ﷺ». وعلى الثاني قال الإمام

(٣) تأسيس الشيعة للعلوم الاسلام - حن

الصدر - ص ٢٨٨

(٤) وسائل الشيعة ج ١٢ - ص ٥ وأصول

الكافي ج ٢ - ص ٤٦٤ - ٥

الصادق عليه السلام: عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، انه لابد لكم من الناس، إن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لا بد لبعضهم من بعض»^(٥).

الخامسة حببونا إلى الناس.

من المسؤوليات التي جعلها الإمام على عاتق كل محب وشيعي وهي مسؤولية ثقيلة وضخمة حقيقة أن يتحول كل واحد منا إلى داعية ودليل يرشد المخالفين لأهل البيت عليه السلام وكل من يجهلهم إليهم، وليس بالكلام والألفاظ وإنما بالسلوك وحسن التواصل وهذا يحتم علينا أن نتحلّى بالصفات الحميدة والسلوك المستقيم والسمعة الطيبة لكسب ثقة الناس بنا والدليل عليه ما قاله الإمام الصادق عليه السلام «فإن أبي حدثني أن شيعتنا أهل البيت كانوا خياراً من كانوا منهم، إن كان فقيه كان منهم، وإن كان مؤذناً كان منهم، وإن كان إماماً كان منهم وإن كان كافلاً يتيماً كان منهم وإن كان صاحب أمانة كان منهم وإن كان صاحب وديعة كان منهم وكذلك كونوا حبيبونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»^(٦).

خاتمة صفة الإخوة في الله:

كان الإمام عليه السلام في معرض بيان الإخوة الواردة على لسان رسول الله ﷺ فقال له ابن أبي يعفور وما هن جعلت فذلك؟ قال: «يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المرء المسلم ما يكره لأعز أهله ويناصحه الولاية...»^(٧) والحمد لله رب العالمين.

(٥) وسائل الشيعة ج ١٢ - ص ٥ والكافي ج

٢ - ص ٤٦٤ - ١

(٦) بحار الأنوار ج ٧٤ - ص ١٦٢ ومشكاة

الأنوار - ص ١٤٦

(٧) وسائل الشيعة ج ٨ - ص ٥٤٢